

تفسير البغوي

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا^ج إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ^ج
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ^ط وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ

قوله - عز وجل - : (من كان يريد العزة فالله العزة جميعا) قال الفراء : معنى الآية من

كان يريد أن يعلم لمن العزة فالله العزة جميعا . وقال قتادة : من كان يريد العزة فليتعزز

بطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة ، أي : فليطلب العزة من عند الله بطاعته ،

كما يقال : من كان يريد المال فالمال لفلان ، أي : فليطلبه من عنده ، وذلك أن الكفار

عبدوا الأصنام وطلبوا به التعزيز كما قال الله : " واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم

عزا كلا " (مريم - 81) ، وقال : " الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

أيتنغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا " (النساء - 139) . (إليه) أي : إلى الله (

يصعد الكلم الطيب) وهو قوله لا إله إلا الله ، وقيل : هو قول الرجل : سبحان الله

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو منصور

السمعاني ، أخبرنا أبو جعفر الرياني ، أخبرنا حميد بن زنجويه ، أخبرنا الحجاج بن نصر ،

أخبرنا المسعودي عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : إذا
حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله - عز وجل - : ما من عبد مسلم يقول
خمس كلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله ،
إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة
إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين ، ومصداقه من كتاب الله - عز
وجل - قوله : (إليه يصعد الكلم الطيب) ذكره ابن مسعود . وقيل : " الكلم الطيب " :
ذكر الله . وعن قتادة : " إليه يصعد الكلم الطيب " أي : يقبل الله الكلم الطيب . قوله -
عز وجل - : (والعمل الصالح يرفعه) أي : يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، فالهاء في
قوله يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ،
وعكرمة ، وأكثر المفسرين . وقال الحسن وقتادة : الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح
أداء فرائضه ، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله ، وليس الإيمان
بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، فمن قال حسنا وعمل
غير صالح رد الله عليه قوله ، ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول

: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وجاء في الحديث : " لا يقبل الله

قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية " . وقال قوم : الهاء في قوله " يرفعه " راجعة إلى

العمل الصالح أي : الكلم الطيب يرفع العمل الصالح ، فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا

عن التوحيد ، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل . وقيل : الرفع من صفة الله - عز وجل -

معناه : العمل الصالح يرفعه الله - عز وجل - . وقال سفيان بن عيينة : العمل الصالح هو

الخالص ، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال ، دليله قوله - عز

وجل - : " فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " (الكهف - 110) ، فجعل

نقيض الصالح الشرك والرياء (والذين يمكرون السيئات) قال الكلبي : أي : الذين يعملون

السيئات . وقال مقاتل : يعني الشرك . وقال أبو العالية : يعني الذين مكروا برسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في دار الندوة ، كما قال الله تعالى : " وإذ يمكر بك الذين كفروا

ليثبتوك " (الأنفال - 30) . وقال مجاهد : وشهر بن حوشب : هم أصحاب الرياء . (لهم

عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يبطل ويهلك في الآخرة .